المصطلحات الدارجة الشعبية
ودورها في تقييد بعض فروع الفقه

د/ المسعود عبدالوهاب
ط . د / ابراهيم طيباوي
جامعة زيان عاشور الجلفة

إذا كان أرباب اللّغة قديما نظروا إليها بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فإنّ هذه اللغة تشكّلت من مصطلحات هادفة ورامية ، وتحمل في طيّاتها معان عدّة ، وما من شك أنّ لغة كلّ قوم تحمل في ثناياها واقعهم وتعاملهم في شتّى الأصعدة الثقافية والاجتماعية والدينية ، بل هي العاكس لمساهمتهم الحضارية

ولعلّ من المصطلحات الدارجة في بيئتنا المحلية والتي لها ما يعضّدها من رصيد معجمي سواء ما تعلّق بقاعدة لغوية أو دلالة معجمية أو بيت من الشعر ...

ومن ذلك ما تعلّق بجانب تراث فقهي ، ذلك أنّ بعض المصطلحات والفروع الفقهية والتي هي من صميم تراثنا الزاخر ، غير أنّ هناك شريحة من الناس تعوزها المعرفة والنظر في فهمها والاستفادة من مقاصدها .

فانبرى لهذه الجزئية البسيطة في ظاهرها والمهمّة في مؤدّاها ومعناها بعض الباحثين، ففسّر هذه المصطلحات والاشكالات ويسرها للفئات المذكورة آنفا باللسان الدارج الذي يخصّ بيئتنا المحلية ، وسهّل أمر تناولها وفهمها واستظهارها .

والسؤال الذي يطرح نفسه عن مدى وجود هذه الألفاظ وماهي الأبواب التي عالجتها وما مدى أثرها في تدوين التراث الشعبي لهذه المنطقة ؟.

وقد سلكنا في مقالنا خطة هي كالتالي :

- مقدمة
- أهمية اللهجة المحلية الشعبية في تسهيل بعض المعارف الفقهية .
- أهمّ المصطلحات الدارجة المقيّدة وموضوعاتها .
- التدليل على هذه المصطلحات الدارجة في تقييد بعض الفروع الفقهية .
- خاتمة .

أولا : أهمية اللهجة المحلية الشعبية في تسهيل بعض المعارف الفقهية :

الفقه يقوم على حياة الناس ، فهو يعالج تلك التعاملات ويصلحها ويضعها في الإطار الأنسب لها ، وهو لا يتعلق بفئة معلومة من الناس أو محددة ، ذلك أنه متغلغل في حياتهم ومعاشهم ، وخاصة ما تعلق بجانب ما يعرف بالمعاملات التي يقع التنازع فيها غالبا مثل البيع والكراء والمزارعة...

لكن طريقة ايصال هذه المعرفة وهذا الفهم لا يتأتى أمره بسهولة ، فكان التفكير في تقييدات تتنوع بين المصطلحات والمنظومات والأبيات الشعرية الدارجة والشعبية تكون مفتاحا لهذا اللغز الفقهي الوارد من خلال السّائل.

ثمّ إنّ هذا النظر هو الأصل في هذا المنحى وهو المبتغى وبيت القصيد .

إلا أنّ الجانب الخفي هو الكشف عن إسهامات الأدب الشعبي في شقه الإجابي ومعالجته لبعض الأقضية الاجتماعية ، لعلّ منها هذا التصور الذي نطرحه اليوم .

إن هذا الإبداع التقييدي ليس من السهل بمكان ، فهذه المعرفة قد وجدت باللغة الفصحى وما تحويه من معان ثوان .

ولقد شجعني في هذا الأمر ما كتبه الدكتور عبد الجليل مرتاض عن تللك العبارات والألفاظ التي كان يدلل عليها من العامية الجزائرية ، بقوله : "وفي عاميتنا الجزائرية ندل بهذه الكلمة على معنى..."[1].

[1]- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى ، د .عبد الجليل مرتاض دار هومة ، د ط ، 2015، ص 161.

ونظرا لما يمثله الأدب الشعبي أو اللسان الدارج من أهداف قيمية خدمة للتاريخ وللتراث ، فإننا نرى أنّ هذه التقييدات التي هي محور هذه الدراسة تصبّ في هذا الجانب وترمي إليه "..وربما كانت العلامات ...بين الأمثال الشعبية هي التراكيب الأكثر قدما ، والأكثر دلالة ، على ذلك الترابط المتسلسل بين أشكال المدونة عبر الأزمنة والأمكنة والأجيال ، وأزيد من هذا فإنّ الدراسات ... تفيد بأنّ الأمثال الشعبية هي الأقرب صلة باللهجات المحلية للشعوب ...".[2]

ثانيا : أهمّ المصطلحات الدارجة المقيّدة وموضوعاتها

وقبل الولوج إلى هذه المصطلحات يجدر التنبيه أنّ هذه التقييدات هي من عنديات الشيخ الجابري سالت ؛ أغنى بها تلك الدروس الفقهية المقدَمة في حلقاته .

1/ شطّر ومطّر.

هذا ورد في مسألة تعرف عند الفقهاء بكراء الأرض مما تنبت ، كما أن الواقع يثبت أنها من يوميات الناس ، كما يقع فيها الأخذ والرد في إقرارها والأخذ بها بين العلماء في كتب الفقه وفروعه .

2/ ما تعاود ما تعاود : أي لا تعُد ولا تعيد.

3/ وسعناها وسعناها ، زيناها وزيناها:

أي لجأنا إلى جانب السعة والتيسير هذا هو المصطلح الأول ، أما المصطلح الثاني فمعناه الابتعاد عنها ومجانبتها ، وذلك حسب اللهجة المحلية الدارجة .

4/ ماتعلق بتعيين مصادر هذه المسائل .

ونعني بذلك إرشاد السائل إلى المدونة أو المصدر الموجودة فيه هذه المسألة أو النازلة الفقهية .

ثالثا : التدليل على هذه المصطلحات الدارجة في تقييد بعض الفروع الفقهية.

1/ شطّر ومطّر : هو في الأصل ضابط أو مفتاح يحفظ به اختلاف الفقهاء في مسألة كراء الأرض ، وقد تنازع الفقهاء في هذه المسألة بين مجيز لها وآخر مانع ، والجواز أو المنع إنّما هو بشروط ضبطها الفقهاء.

وفيها الفتوى الوقائية وهي أنّ الأرض تكرى بكل شيء ماعدا ما يخرج منها ، وهذا مذهب الإمام الشافعي وظاهر قول مالك .

أمّا في شقّ الجانب العلاجي أو الفتوى العلاجية فهي أنّ الأرض تكرى بكلّ شيء وبما يخرج منها ، وهذا قول الإمام أحمد والثوري والليث وصاحبا أبي حنيفة [3].

وجمعا بين الأقوال حتى نخرج بفتوى جامعة بين الوقائية والعلاجية ، فإنّ المصطلح الدارج الجامع بينهما هو : شطّر مطّر.

ومعنى هذه الكلمات :

شطّر : من الشطر وهو النصف ، وهو القسم.

مطّر: مصطلح عند أهل الزراعة والفلاحين ، ويعني بداية زرع الأرض أي عند الاقسام والتفاهم بالنصف ، فإنّ الفلاح يبدأ بالعمل.

هذا المصطلح شطّر ومطّر : هو مصطلح يرفع الحرج ، ويجمع بين الفتوى الوقائية والعلاجية ، فلابدّ من تشطير الأرض أو البذر.

فعند كراء الأرض فلابدّ للشريكين أن يقتسما الأرض والزرع من أحدهما.

أو أنّ الأرض لأحدهما والزرع بينهما.

فيكون العقد بينهما جائز ، أي فمطّر ابدأ بزراعة الأرض.

2/ ما تعاود ما تعاود : أي لا تعِد ولا تعُد.

في كثير من الفتاوى والتي تطرح من العوام ، والإجابة النمطية لهذه الفتوى أنّه ما تعاود ما تعاود أي لا تعد هذا الأمر فقد عفا الله عما سلف ولا تعد إلى هذا الفعل مرة ثانية .فمثلا كمن أخطأ في ترقيع الصلاة.

رقع صلاته على حسب ما يحسن هذا الإنسان ، وبقي سنوات يرقعها على هذا النحو.

الجواب النمطي حول الصلوات الفائتة هو أنه لا يعيدها ولا يعود إلى هذا الترقيع.

---

[2]– الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة ، أ. د. عبد الجليل مرتاض ، دار هومة ، 2013، ص 26.

[3]– بداية المجتهد ، ابن رشد ، دار الحديث – القاهرة، 2004 م، ج07/04.

3/ وسعناها وسعناها ، زيناها وزيناها: في حيثية سؤاله عن دور المساجد وعملها وتفعيلها ، فبالمقارنة بين شكلها السطحي بناء وزخرفة نجد شيئا عظيما بخلاف تفعيل دورها عمقا وروحا ، إننا قد غيبنا هذا الجانب ، فكان الشيخ يقول أنّ المساجد قد زيناها من الزينة والتحسين .

والمعنى الثاني للمصطلح (زيّن) فهو بمعنى أغلق ، فيقال في الدارج زيّن الباب أي أغلقه ، وهذا للتفاؤل ولنشر الكلم الطيب ، وهي من كلام العرب المأثور ، فقد يستعملون العكس لطلب الفعل والحسن ، فيقال للأعمى بصير ، ويقال للملدوغ المعافى أو السليم.

وبمفهوم كلام الشيخ فإنّ المساجد زيناها وزيناها أي بمعنى زخرفناها وأغلقناها.

وكذا مصطلح وسعناها ووسعناها : فالأول من التوسعة والاتساع[4] والثاني من الابتعاد ، فيقال في الدارج وسعني أي ابتعد عني ، فالمعنى كسابقه وسعناها وابتعدنا عنها.

4/ ماتعلق بتعيين مصادر هذه المسائل.

وهذا النوع يمكن لنا أن نحدد مثاله في مسألة الزكاة عندما طرح سؤال عنها وأجابه الشيخ ، ثمّ أراد السائل تأصيل هذه المسألة فأرشده الشيخ إلى الكتاب الذي أُخذت منه الفتوى ، واسم السائل هو حواس.

وقد أجاب الشيخ الجابري بأبيات عن الإبدال فقال :

حوّس عنها يا وليدي يا حوّاس.....باعد بحرارة وباعد لي حوّاص.

تلقاها عند لحبيب بن الطاهر.....بالمذهب فقيه حسبما يظـهر

في الجزء الثاني البادي بالزّكاة.....عمّنا الإله – جمعا- بالخيرات

بحبّ الرسول .أنعم وأكرم.....صلّى الله عليه ربي وسلّم[5].

وفي شرحنا لهذه الأبيات نذكر مايلي :

حوّس: بمعنى أطلب وابحث عنها.والفعل حوّس كما ذكر الامام الجوهري على الإمام الأصمعي قال : تركت فلانا يحوس بني فلان.أي يتخللهم ويطلب فيهم.[6]

تلقاها عند لحبيب بن الطاهر: إشارة إلى كتاب الفقه المالكي وأدلته .

في الجزء الثاني البادي بالزّكاة: تقييد لمسألة السائل [7].

خاتمة :

بعد هذه الإطلالة على المصطلحات الدارجة التي تخص بيئتنا المحلية والتي تضاف إلى رصيد الأدب الشعبي الهام والهادف ، والتي عرجنا من خلالها على جانب يكتسي الأهمية من وجهين أحدهما هذه التقييدات التي ضمت في ثناياها ثروة فقهية يسهل استذكارها وتداولها مشافهة بين جميع طبقات المجتمع.

والآخر مراعاة فئة لم يسعفها الحظ في امتلاك أدوات وآليات العلم والمعرفة التي تمكنها من سبر أغوار المصادر والمدونات التراثية .

ثمّ إنّ هذه النظرة تضع بين أيدينا التفكير في جمع هذه التقييدات على اختلاف مسالكها في مسرد خاص يسهل عملية الاطلاع عليها ومراجعتها وتلقينها بسلاسة ويسر، مجانبة لكل أشكال العوائق والصعوبات .

---

[4] – معجم لغة الفقهاء ، محمّد رواس قلعجي ، ار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط02/ 1988 م .

[5]– كشكول الفوائد ، محمّد الجابري سالت ، دار الضحى ط2016/01 ، ص02.

[6]– تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، بيروت ،ط 04/ 1987 م. ج920/03. لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر – بيروت الطبعة: 1414/03 هـ .ج06/ 59.

[7]– الفقه المالكي وأدلته ، الحبيب بن طاهر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط 05 ، 2007م ، ج16/02.

قائمة المصادر والمراجع :

- بداية المجتهد ، ابن رشد ، دار الحديث – القاهرة، 2004 م .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، بيروت ،ط 04/ 1987 م.
- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى ، د .عبد الجليل مرتاض دار هومة ، د ط ، 2015.
- كشكول الفوائد ، مُحَمَّد الجابري سالت ، دار الضحى ط2016/01 .
- لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر – بيروت الطبعة: 1414/03 هـ .
- معجم لغة الفقهاء ، مُحَمَّد رواس قلعجي ، ار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ط02/ 1988 م .
- الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة ، أ. د. عبد الجليل مرتاض ، دار هومة ، 2013.
- الفقه المالكي وأدلّته ، الحبيب بن طاهر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط 05 ، 2007م .